

تنمية التصميم الذاتي في صفوف طلاب من ذوي القدرات العقلية

بواسطة التعلّم داخل مجتمع دارسين

بنينا شايبيط

الإشراف الأكاديمي: البروفيسور شونيت رايطر

وظيفة نهائية لنيل الدكتوراه، جامعة حيفا

2007

(الرقم في الكتالوج: 544)

تمثل هدف البحث في فحص تأثير التعلّم في مجتمع دارسين بحسب دائرة الاستدخال الذاتي المتعلقة بتنمية التصميم وجودة المعيشة لدى طلاب من ذوي القدرات العقلية. تمثل الهدف الثاني في فحص ما إذا كان الارتفاع في التصميم سيفضي إلى التحسين في جودة المعيشة. أما الهدف الثالث فتمثل في تحديد مميزات هذه الطريقة التي تؤدي إلى نجاحها.

يرتكز البحث الحالي إلى مذهب التربية الإنسانية التي تسعى إلى تنمية شخصية أصيلة للطالب، من خلال توليد الإحساس بتحقيق الذات. تعمل التربية الإنسانية على تطوير وتعزيز ثقة الفرد بقدراته على تحقيق خصوصيته والتعبير عن ذلك من خلال الولاء والوعي لما يعرفه هذا الفرد كـ "الأنا الداخلي". تسعى رعاية وتمنية استقلالية الفرد إلى تمكينه وتعزيز قوته كي يعمل على نحو غير مشروط على اتخاذ القرارات والخيارات التي تتناول حياته، وذلك من خلال فحص واقعه وإحكام العقل في فحص البدائل القائمة. يرتبط مصطلح الاستقلالية ارتباطاً وثيقاً بجودة معيشة الفرد؛ وما يعنيه المصطلح هو درجة قصوى من التحكم بنمط الحياة، والقدرة على اختيار بديل واحد من بدائل عدّة، وتحديد غايات فردية بحسب منظومة واضحة من سلم الأولويات.

الأدبيات المهنية التي تتناول موضوع جودة المعيشة في صفوف ذوي القدرات العقلية تتعامل معه كمفهوم اجتماعي يشكّل إطاراً لأهداف مشتركة يتقاسمها المجتمع وجهاز التعليم والفرد. يشكّل هذا المفهوم هدفاً ووسيلة لتطوير وتقييم الخدمات المقدّمة للفرد ذي القدرات العقلية. تؤثر جودة المعيشة على إرادة الفرد ضمن ظروف حياتية توائم أسلوبه، وترتكز إلى ثمانية محاور في حياته: الرفاهية الوجدانية، والعلاقات الشخصية، والرفاهية المادية، والنمو الشخصي، والرفاهية البدنية، والتصميم الذاتي، والانخراط الاجتماعي، والحقوق (Schalock, 1996). يجب تقييم هذه الأبعاد من خلال التطرّق لجوانب موضوعية وذاتية في حياة الفرد. من هنا فإنّ التصميم يشكّل مكوناً في جودة المعيشة، وثمة من يشدد على حقيقة أنّ التصميم هو مركب ضروري في جودة المعيشة. تتواجد مميزات سلوك التصميم لدى الفرد الذي يعمل على نحو مستقل، وينظّم سلوكه ويوجّه نشاطاته ويتفاعل مع محيطه من خلال إحساس التمكين، ويعمل من خلال إرادة تحقيق الذات.

السواد الأعظم من الطلاب ذوي القدرات الذهنية الذين ينفون دراستهم في المدرسة لا يعرفون ما هي رغباتهم وما هي الأمور التي يُحسنون صنعها. تجاربهم التي تقترن باتخاذ القرارات التي تؤثر على

حياتهم قليلة للغاية، كما الفرص التي تتوافر لهم للتعبير عن تفضيلاتهم. ينجم عن ذلك غياب المبادرة والتصميم والاستقلالية لدى هذه الفئة. إحدى التفسيرات المحتملة لهذه الظاهرة تتمثل في بيئة التعليم التي تحدّ من فرص التعلم، ولا تمكّن من خوض تجارب كافية لتنمية التصميم والإحساس بجودة المعيشة. الفرضية التي ينطلق منها البحث الحالي هي أنّ تمكين الأفراد ذوي المحدودية من التواجد في بيئة تدعم على نحو فاعل التصميم الذاتي للتلاميذ، سيدفعُ بهؤلاء إلى توظيف ناجع للسيرورات التي تمكّنهم من التحكم في حياتهم، وتحملّ مزيداً من المسؤولية عنها. يُمكن تطوير قدرة ممارسة التصميم الذاتي من خلال توفير فرص الاختيار واتخاذ القرارات من قبل الفرد بما يتعلق بحياته، ويشكّل شرطاً مهماً لتحسين جودة معيشته.

بغية فحص ما هي البيئة التعليمية الأكثر ملاءمة لتنمية ورعاية التصميم والإحساس بجودة المعيشة، جرت عملية مقارنة بين طريقتين تدريسيّتين: التدريس الوجيه Frontal التقليدي، والتدريس داخل مجتمعات دراسية بحسب نموذج " دائرة الاستدخال الذاتي" (رايطر، 1997ب). في التعليم الوجيه يشكل المعلم مصدر المعرفة الأساسي، ويتمثّل دوره في إكساب هذه المعرفة لتلاميذه. يشكل هذا المنهج في التدريس تجسيدا لنموذج التدريس الذي ابتكره أوزوبيل (Ausubel, 1968)، والذي يسمى بـ" التدريس المفسّر" ويعتمد على مبادئ نظرية تحليل المعلومات.

في المقابل يرتكز انموذج " دائرة الاستدخال" على الفلسفة الإنسانية وتطبيقاتها في صفوف ذوي المحدودية التطورية وعلى نظرية التعلم البنائية السوسيو- ثقافية. يعرض الأنموذج مراحل عملية تغيير يخوضها الطالب خلال عمليات التفاعل داخل مجموعة الأقران/ الأتراب. الفرضية الأساسية هي أن الإنسان عقلائي بطبعه ويملك قدرات عقلية- ذهنية؛ وقادر على الوصول إلى فهم لبيئته ولذاته. وبكونه كذلك فهو يملك قدرة التحكم بنفسه وبسلوكه، ووضع الغايات لذاته، وتخطيط تنفيذها والعمل على تحقيقها.

من أجل الاستجابة لأهدافه دمج البحث بين منهجين استقصائيين: المنهج الكمي والمنهج النوعي. شارك في البحث 74 طالبا بالغا وناشئا من ذوي المحدودية العقلية من مدراس التعليم الخاص. انقسم المشاركون لمجموعة التجربة ومجموعة الرقابة، وتم فحصهم بأدوات كمية في بداية التجربة وفي نهايتها. بعد مرور خمسة أشهر على إتمام برنامج التدخل جرى فحص درجة التصميم بواسطة استبيان يفحص هذه المسألة. وشملت الأدوات الكمية تعبئة استبيانين من قبل الطالب: واحد لفحص التصميم الذاتي والآخر لفحص جودة المعيشة؛ واستبيان آخر (وهو استبيان نواتج الطالب) قام بتعبئته المدرّس في بداية برنامج التدخل وفي نهايته. أمّا البحث النوعي فقد وضع بغية الاطلاع على العلاقات التبادلية في الصف، وطريقة تناول البرنامج من قبل كل واحدة من طريقتي التدريس. شمل الإجراء تصويرا (بواسطة كاميرا الفيديو) لدروس تتناول برنامج تهيئة للحياة في أحد صفوف التجربة، وفي صف الرقابة، وجرى تحويلها إلى نص مكتوب بحذافيرها. بعد ذلك جرى تشخيص الظواهر البارزة في كل واحد من الصفوف التي شاركت في هذا الإجراء.

تشير النتائج الأساسية للبحث الكمي إلى وجود تأثير حاسم (من الناحية الإحصائية) لبرنامج التدخل على جميع مؤشرات التصميم - الاستقلالية، والتنظيم الذاتي، والتمكين، وكذلك على جميع مؤشرات جودة المعيشة: الرضا، والقدرة الإنتاجية، والانتماء الاجتماعي. في جميع المؤشرات التي جرى فحصها كان التحسين في مجموعة التجربة أكبر من التحسين في مجموعة الرقابة (على نحو حاسم من الناحية



الإحصائية). تمثل هدف آخر للبرنامج في فحص الكيفية التي قد يؤدي فيها برنامج تدخل يتناول تنمية التصميم الذاتي إلى تحسين في مجال جودة المعيشة أيضاً؛ وبالفعل فقد بدأ تحسين في مركبات جودة الحياة التي جرى فحصها في البحث. بين البحث أيضاً أن التغيير في التصميم الذاتي هو الذي ساهم في حل الاختلاف الذي يُفسر بمكونات جودة المعيشة.

في موضوع تقييم المدرسين للبرنامج، تُظهر النتائج أن إنجازات الطلاب الذين تعلموا بحسب نموذج دائرة الاستدخال كانت أعلى على نحو حاسم من إنجازات الطلاب الذين درسوا بحسب طريقة التعليم الوجيه التقليدي. قام البحث أيضاً بفحص تأثير متغيرات شخصية كالجنس والسن على تطور التصميم، وتبين أن متغير الجندر وحده يملك تأثيراً حاسماً، إذ أن التحسين الذي طرأ في صفوف الإناث فاق ذلك الذي طرأ في صفوف الذكور. في المرحلة الأخيرة - وهي مرحلة بقاء التصميم الذاتي على امتداد الوقت - تظهر النتائج أن الفروق بين المجموعات كانت أكبر على نحو حاسم في القياس الثاني، وهو مرحلة " ما بعد ". ما يعني أن تأثير التدخل يأخذ بالتعاظم على امتداد الوقت.

بدورها تظهر نتائج البحث النوعي وجود اختلاف بين الصف الذي تعلم داخل المجتمعات الدارسة بحسب دائرة الاستدخال وبين الصف الذي درس بأسلوب التعليم الوجيه. الفروقات بين الصنفين شملت عدة مواضيع، وفيما يلي نطرح الأساسية منها:

الفرق الأساسي هو في اختيار مواد التدريس. في صف التجربة قامت المُدرسة بتحليل الأحداث التي استقتها من حياة الطلاب؛ في المقابل اختارت المُدرسة في صف الرقابة مواد لا يشكل عالم الطلاب مصدراً لها.

تمثل الفرق الثاني في نوع الأسئلة التي طرحتها المُدرسة. الأسئلة التي طُرحت خلال الدرس كانت متميزة من حيث مستوى السؤال ونوعيته. في الصنفين طُرحت المدرستان أسئلة بحسب مستويات تفكير مختلفة، إلا أن المُدرسة في صف التجربة طُرحت أسئلة أكثر في مستوى التفكير العلوي - التحليل، والتقييم، وإصدار الأحكام، والتخليق (سينثيزا)؛ الأسئلة هنا كانت من النوع " المفتوح " و " المتمحور ". في المقابل كانت غالبية الأسئلة في صف الرقابة من نوع أسئلة التفكير في المعرفة؛ أسئلة بغالبيتها " مغلقة " وبأسلوب " القمع " (" المُحقن ") (Wood, 1998). كان لأسئلة المُدرسة تأثير على مستوى المشاركة الفاعلة للطلاب وعلى التفاعلات التبادلية بين المدرس والطلاب. في صف التجربة أظهر الطلاب مشاركة فاعلة، وقامت المُدرسة بخلق فرص لتولد تفاعلات بين الطلاب، وضمت تعابير تمكينية للطلاب، وهو أمر يشكل مكوناً من مكونات التصميم الذاتي. هذا الأسلوب من المشاركة والعلاقات التبادلية في الأسلوب المذكور أعلاه لم يُصد في صف الرقابة

رُصدت فروقات في أسلوب التحليل والمعالجة أيضاً، وتلك أثرت بدورها على تعابير التصميم وجودة المعيشة. المضامين التعليمية في صف التجربة دارت حول مُعضلات اجتماعية طُرحت خلال النقاش. طُرحت المُدرسة أمام الطلاب تحدٍ فكري واجتماعي في قضايا ذات بعد قيمي أخلاقي، بالإضافة إلى ذلك فقد قامت بتحليل المضامين على المستوى التنفيذي والمعياري، بغرض تعلم مهارات ومعايير تمكّن من تبني سلوكيات تكيفية، لكن أيضاً بغرض تنمية البعد الأخلاقي - القيمي. في المقابل بذلت المُدرسة في الصف الذي تعلم بحسب طريقة التعليم التقليدية جهداً ووقفاً في تحليل المضامين للتدريس حول معايير اجتماعية، وحول مهارات تُمكن الطالب من تبني سلوكيات تكيفية، لكن وعلى عكس صف التجربة، فقد

גבב תמא המסווי القيمي- الأخلافي الذي يُحرك السلوك المسقلّ لدى الطالب. يساهم البحث مساهمة تطبيقية مهمة في فهم سبل التدريس التي تلائم - أكثر ما تلائم- تنمية التصميم والإحساس بجودة المعيشة في صفوف طلاب من ذوي المحدودية العقلية. يساهم البحث أيضاً على المسووي التطبيقي في تنمية الإدراك المتمثل في أن التصميم الذاتي والإحساس بجودة المعيشة يتطوران في الأساس نتيجة توفير فرص تعليمية لائقة، ونقاشات حول سبل حل إشكاليات وقضايا اجتماعية في حياة التلميذ، وتجارب متكررة ومتنوعة حول وضعيات حياتية تُمكن من تطبيق مركبات من جودة المعيشة والتصميم الذاتي. تطبيق طريقة التعليم بحسب " أنموذج دائرة الاستدخال"- وبحسب أسسها الفلسفية والسيكولوجية والعلاجية، يُمكن من تنمية التصميم الذاتي والإحساس بجودة الحياة في صفوف الطلاب ذوي المحدودية العقلية، بغض النظر عن مضمون الموضوع الذي يُدرّس في مجالات التهيئة للحياة. أثبت البحث أنّ تطبيق الفرضيات التي يعتمد عليها أنموذج التدريس عند التدريس بحسب أنموذج دائرة الاستدخال يؤثر على تنمية هذه المكونات.

يساهم البحث في فهم تأثير التعلم داخل مجموعات دراسية على قدرة التعلم وعلى القدرة العاطفية للطلاب ذوي المحدودية العقلية في التعامل مع مُعضلات اجتماعية مركبة والتعلم منها. من بين الاستحقاقات المتولدة نذكر أنّ التحديات الفكرية التي تُطرح على الطلاب ذوي القصور العقلي (التخلف العقلي) الذين يتعلمون داخل مجموعات غير متجانسة (تباين فكري ووجداني)، تخلق فرصاً تعليمية لفهم حالات اجتماعية مركبة، وكذلك تولد تبصّرات insights حول ذواتهم وحول الآخرين. لو جرى الاعتماد فقط على نتائج اختبارات الذكاء، لما كان من المتوقع أن يتوصل هؤلاء الطلاب أن إلى هذا الفهم وإلى هذه التبصّرات.